

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد خاتم الرسل ومن تمسك بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين أما بعد :

فإن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه ببيان الأمم ، فصلاح كل أمة ورفيها مربوط بسلامة عقيدتها وسلامة أفكارها ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة فكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم : (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

وذلك لأن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

والعبادة حق الله على عباده كما قال النبي صلى الله وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وهذا الحق هو أول الحقوق على الإطلاق لا يسبقه شيء ولا يتقدمه حق أحد .

هذا هو الأساس وهذا هو الأصل وهذه هي القاعدة . ولكن للأسف جاء من فهم التوحيد فهما خاطئا وحصره في جوانب ضيقة وهم ما يعرفون (بالمتكلمين) ومن خلال هذا البحث الذي أقوم به سأبين مفهوم التوحيد لدى أهل السنة وكذلك لدى المتكلمين .

المبحث الأول (مفهوم التوحيد لدى أهل السنة)

التوحيد في اللغة : مصدر وَّحَد الشيء إذا جعله واحداً .

وفي الشرع : إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .^١
وأقسامه هي :

١ - توحيد الربوبية : هو إفراد الله عز وجل بالخلق والملك والتدبير

فإفراده بالخلق : أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله .

قال تعالى (ألا له الخلق والأمر) الأعراف ٥٤ وقال تعالى (هل من خالقٍ غير الله يرزقكم من السماء والأرض فاطر ٣

وأما إفراد الله بالملك : فإن نعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالقهم .

قال تعالى (ولله ملك السموات والأرض) آل عمران ١٨٩

وأما إفراد الله بالتدبير : فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده .

قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والبصر ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون - فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) يونس ٢٣ / ٣١ .

٢ - توحيد الألوهية : ويقال له : توحيد العبادة باعتبارين ، فباعتبار إضافته إلى الله يسمى : توحيد

الألوهية ، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة .

وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة ، فالمستحق للعبادة هو الله تعالى ، قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل) لقمان ٣ .

٣ - توحيد الأسماء والصفات : وهو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات .

وهذا يتضمن شيئين :

الأول : الإثبات ، وذلك بأن نثبت لله عز وجل جميع أسمائه وصفاته التي أثبتنا لنفسه في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

الثاني : نفي المماثلة وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً في أسمائه وصفاته كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

وقال في فتح المجيد^٢ : والتوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات . وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة .

^١ / القول المفيد على كتاب التوحيد - بن عثيمين - دار ابن الجوزي - الدمام - الطبعة الرابعة - ١٤٢١ - المجلد الأول - ص ٨
^٢ / فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - دار السلام - الرياض - الطبعة الخامسة - ١٤٢١ ص ١٥

قال العلامة بن القيم رحمه الله : وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدرته وحكمته وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدّ الإفصاح كم في أول سورة الحديد .

النوع الثاني : ما تضمنته سورة الكافرون (قل يا أيها الكافرون) وقوله تعالى (قل ي أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

وغالب سور القرآن ل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية إليه .

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله : لا يعد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله . وذلك يتضمن إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات .

وليس المراد بالتوحيد : مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف . ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد . وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد فإن الرجل لو أقر ما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما يتره عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده فيقر أن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له و (الإله) هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع .

ومما ورد في تعريف التوحيد أنه ^١ : هو أفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والرجاء والاستعاذة والاستعانة والحب والخشية واعتقاد أنه واحد في ذاته وأسمائه وصفاته فلا نظير له ولا شبيه له قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . وهو سبحانه واحد في ملكه وأفعاله أي لا شريك له في خلقه وتدبيره قال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وترفع الملك من تشاء) وواحد في ألوهيته واستحقاق عاداته فلا معبود بحق سواه ولا يستحق أن يعبد غيره قال تعالى (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين)

مفهوم التوحيد عند المتكلمين

قال في الأصول الخمسة ^٢ : إن قيل أخبرني عن الجملة التي تلزمك معرفتها في أصول الدين .

قيل له : أصول الدين خمسة : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمتزلة بين المتزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه الأصول عليها مدار الدين ومن خالف فيها فهو عظيم الخطأ وربما كفر أو فسق ذلك .

^١ / ما لا د معرفته عن الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقاً - محمد العرفج - دار الصمعي للنشر - الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ - ص ٣٢
^٢ / الأصول الخمسة المنسوب إلى القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد

فإذا عرفت هذه الأصول يلزمك أن تعرف عد ذلك الفقه .

فإن قيل : فما التوحيد ؟

قيل له : أن تعلم أن الله عز وجل واحد لا ثاني له في الأزل وتفرد بذلك .

فإن قيل : فما علم التوحيد ؟

قيل له : هو العلم ما تفرد الله عز وجل به من الصفات التي لا يشاركه فيها أحد من المخلوقين وتفسير ذلك أن تعلم أن لهذا العالم صانعاً وأنه موجود فيم لم يزل قديماً فيما لا يزال . لا يجوز عليه الفناء . والواحد منا يوجد بعد العدم ويجوز عليه الفناء .

وتعلم أنه قادر فيما لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه العجز .

وتعلم أنه عالم فيما لم يزل ولا يزال ولا تجوز عليه الجهالة .

وتعلم بأنه عالم بالأشياء كلها ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون .

وتعلم أن حيّ فيما لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الموت .

وتعلم أنه سميع بصير فيما لم يزل ولا يزال ولا تجوز عليه الآفات والآلات .

وتعلم أنه راء للمرئيات ومدرك لجميع المدركات ولا يحتاج إلى حاسة وآلة .

وتعلم أنه غني فيما لم يزل ولا يزال ولا تجوز عليه الحاجة .

وتعلم أنه لا يشبه الأجسام ولا يجوز عليه ما يجوز عليها من الصعود والهبوط والتنقل والتغيير والتركيب والتصوير والجراحة والأعضاء .

وتعلم أنه لا يشبه الأعراض التي هي الحركات والسكون والألوان والطعوم والروائح .

وتعلم أنه وخذ في القدم والأولية لا ثاني له وأن كل ما سواه محدث مفعول محتاج مدبر مربوب . فإذا علمت هذه الجملة كنت عالماً بالتوحيد .

وعليه فإن التوحيد عند المعتزلة يقصد ه أن الله تعالى واحد لا ثاني له في القدم والإلهية ولا شريك له فيما يثبت له أو ينفي عنه من الصفات مع اشتراط العلم والإقرار بهذه الوجدانية وعدم المشاركة ومن لم يحقق هذين الشرطين فليس موحداً .

قال القاضي عد الجبار (ولا بد من اعتبار هذين الشرطين : العلم والإقرار جميعاً لأنه لو علم ولم يقر أو أقر ولم يعلم لم يكن موحداً)¹ .

ومن أجل إثبات وحدانية الله تبارك وتعالى وتزويجه عن الشريك وتعدد القدماء فإن المعتزلة عطلوه سبحانه عن جميع ما يستحقه في هذا الباب وهذا يعني أن التوحيد عند المعتزلة يخالف التوحيد الذي يدين به أهل السنة والجماعة ومن مسائل التوحيد التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة على سبيل المثال: (إنكار الصفات) ^١ من عقيدة المعتزلة في تمحيض التوحيد إنكار جميع صفات الله تبارك وتعالى التي وصف بها رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع سلف الأمة وأئمة الهدى على وصفه تعالى بما على الحقيقة .

ومن الصفات التي أنكروها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - إنكار صفتي السمع والبصر :

المعتزلة ينكرون وصف الله تعالى بالسمع والبصر ويتأولون ذلك تأويلات لم يتزل الله تعالى بها من سلطان ومن هذه التأويلات أنهم تأولوا هاتين الصفتين العلم .

وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار : (فعند شيوخنا البصريين أن الله تعالى سميع بصير مدرك للمدركات وأن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً وأما عند مشايخنا البغداديين هو أنه تعالى مدرك للمدركات على معنى أنه عالم بها) .

٢ - إنكار صفة الاستواء :

ومن الصفات التي أنكروها المعتزلة صفة الاستواء ، ولما كانت هذه الصفة ثابتة بنصوص قاطعة لا تقبل الرد اضطروا إلى تأويل هذه النصوص ما ينسجم مع عقيدتهم في نفي كثير من الصفات ففسروا (استوى) بمعنى :

(استولى) و (ملك) و (قهر) و (قدر) .

قال القاضي عبد الجبار : (الاستواء ها هنا بمعنى الاستيلاء والغلبة وذلك مشهور في اللغة) ^٢

وبعد أن بينا مفهوم التوحيد لدى المعتزلة نتقل لبيان التوحيد عند الأشاعرة :

قال في جوهر التوحيد ^٣ : التوحيد لغةً : العلم أن الشيء واحد ، وشرعاً بمعنى الفن المدون فيما سيأتي وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكنسب من أدلتها اليقينية والمراد به هنا الشرع لا بمعنى الفن المدون فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى ولا تقبل ذاته الانقسام لا فعلاً ولا وهماً ولا فرضاً مطابقاً لواقع ولا تشبه صفاته الصفات ولا تعدد فيها من جنس واحد بأن يكون له تعالى قدرتان مثلاً و لا يدخل أفعاله الاشتراك إذ لا فعل لغيره سبحانه خلقاً وإن نسب إلى غيره كسباً وقيل هو إثبات ذاته غير مشبهة لذوات ولا مطلة عن

^١ / آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً

^٢ / شرح الأصول الخمسة

^٣ / جوهر التوحيد للاقاني مع حاشيتها تحفة المرید للبيجوري

الصفات ، خلافاً للمعتزلة المعطلين للذات عن الصفات الوجودية فإن قيل قد جاء صلى الله عليه وسلم
بغير التوحيد ، فلم اقتصر الناظم على التوحيد ؟

أجيب بأنه خصه لأنه أشرف العبادات يليه الصلاة كما في حديث أبي سعيد (أن الله تعالى لم يفرض شيئاً
أفضل من التوحيد والصلاة ولو كان شيء أفضل منه لأفترضه على ملائكته منهم راعع ومنهم ساجد)
والحد السابق هو أحد المبادئ العشرة المنظومة في قول بعضهم :

إن مبادئ كل فن عشرة	الحد والموضوع ثم الثمره
وفضله ونسبة والواضع	والإسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى	ومن درى الجميع حاز الشرفا

فحد هذا الفن لغةً واصطلاحاً تقدم .

وموضوعه : ذات الله تعالى من حيث ما يجب له وما يستحيل وما يجوز وذات الرسل كذلك والممكن من حيث
إنه يتوصل به إلى وجود صانعه والسمعيات من حيث اعتقادها .

وثمرته : معرفة الله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية .

وفضله : أنه أشرف العلوم لكونه متعلقاً بذاته تعالى وذات رسله وما يتبع ذلك .

ونسبته : أنه أصل العلوم الدينية وما سواه فرع

ويذكر الباقلاني^١ في بيان معنى التوحيد ما يلي : (والإيمان بالله تعالى يتضمن التوحيد له سبحانه والوصف له
بصفته ونفي النقائص عنه الدالة على حدوث من جازت عليه .

والتوحيد له هو : الإقرار بأنه ثابت موجود وإله واحد فرد معبود ليس كمثلته شيء على ما قرر به قوله تعالى
(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقوله (ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير)

وأنه الأول قبل جميع المحدثات . الباقي بعد المخلوقات على ما أخبر به تعالى من قوله (هو الأول والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم) .

ويقول في الإرشاد^٢ بعد أن جعل له باب أسماء (باب العلم بالوحدانية) : (البارئ سبحانه وتعالى واحد في
الواحد في اصطلاح الأصوليين الشيء الذي لا ينقسم ولو قيل الواحد هو الشيء لوقع الاكتفاء بذلك والرب

سبحانه موجود فرد متقدس عن قبول التبعض والانقسام وقد براد تسميته واحداً أنه لا مثل له ولا نظير) .

وأختم بحثي بماورد في موقف بن تيمية من الأشاعرة^٣ حيث قال :

^١ / الأنصاف فيما يجب اعتقاده والإيمان به - الباقلاني

^٢ / الإرشاد - عبد الملك الجويني - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٤٢٢ هـ ص ٥٢

^٣ / موقف بن تيمية من الأشاعرة - عبدالرحمن المحمود - مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الثانية - ١٤١٦ هـ ص ٩٤٦

ومسألة التوحيد عند الأشاعرة وحقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل : من أهم الأبواب التي غلط فيها أهل الكلام وفيهم الأشاعرة وصار كلامهم فيه مشتملاً على قليل من الحق وكثير من الباطل ولا شك أن أسس الإسلام وقاعدته توحيد الله وحده لا شريك له .

والتوحيد والواحد والأحد عند الأشاعرة يشمل ثلاثة أمور :

- ١ - أن الله واحد في ذاته لا قسيم له .
- ٢ - وأنه واحد في صفاته لا شبيه له .
- ٣ - وأنه واحد في أفعاله لا شريك له .

وأشهرها عندهم وأقواها دلالة على التوحيد النوع الثالث وبه يفسرون معنى لا إله إلا الله . والألوهية عندهم هي القدرة على الاختراع والخلق فمعنى لا إله إلا الله لا خالق إلا الله .

النتائج :

يمكن تلخيص أهم نتائج هذا البحث فيما يلي :

١/ بيان معنى التوحيد عند أهل السنة وهو: إفراد الله عز وجل بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

٢/ معنى التوحيد عند المتكلمين يدور حول توحيد الربوبية فقط

